وإنك لعلى خلق عظيم

الخطبة الحادية عشرة

تابع الإسراء والمعراج

ما زلنا عباد الله مع أحداث السيرة النبوية على صاحبها الصلاة والسلام، هذه السيرة العظيمة التي نريد منها أن نُحَصِّل إيمانًا، وأخلاقًا، وأعمالًا، لا نريدها موضوعا للمناقشة، ولا قصصًا للتسلية، ولا دربا من دروب الخيال، ولا ترانيم تتلى يوم مولده ويوم هجرته، وهل قراءة سيرته ﷺ بهذا الفهم يدل على محبته ﷺ؟ لا، وألف لا، فما أرخص الحب إذا كان كلامًا! وما أغلاه إذا كان قدوة وزمامًا!

عباد الله، إن المسلم الذي لا يعيش الرسول ﷺ في ضميره، ولا تتبعه بصيرته، وفهمه، وفكره؛ لا يغني عنه شيئا أن يحرك لسانه بألف صلاة وسلام عليه ﷺ في اليوم والليلة، وهكذا عباد الله، لقي النبي ﷺ من الضيق والعسر ما لقي.

تكلمنا في الخطبة الماضية عن رحلة الإسراء والمعراج، وعلمنا أنها كانت بالروح والجسد، عن طريق البراق الذي ظهرت فيه آثار القدرة الإلهية في سرعة التنقل من مكة وحتى بيت المقدس، وكذلك تعلمنا وجوب الأخذ بالأسباب ﷺ ربط الدابة في الحلقة مع أنها في مكان آمن، وكذلك علمنا أن قيادة الإنسانية انتقلت من بني إسرائيل إلى النبي محمد ﷺ وأمته من بعده، واستفدنا من إمامة النبي لبقية الأنبياء عليهم السلام أن هذا إقرار مبين بأن الإسلام كلمة الله الأخيرة إلى خلقه، ومن اختيار النبي ﷺ للبن علمنا أنه اختار الفطرة، ومن عدم اختياره ﷺ للخمر؛ لأنه تغطي العقل، وتمنع من ذكر الله، وكذلك فإنها تنافي الفطرة، وفي هذه الخطبة نستكمل عباد الله ما بدأناه من فوائد رحلة الإسراء والمعراج المباركة.

ومما يلاحظ فى هذه الرحلة توافق وانسجام هذه الشريعة المحمدية انسجاما عجيبا؛ وذلك لأن كلها من عند الله.

ألم تروا إلى جبريل وهو يستأذن في كل سماء هذا الفعل وهذا الخلق والأدب الذي ينسجم وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾[النور: ٢٧].

هكذا عباد الله فإن الله ينهانا أن ندخل بيوتًا حتى نستعلم ونستكشف الحال، وهذا يكون بالاستئذان.

واعلم رحمني الله وإياك أن الاستئذان ثلاث مرات، يقول في كل واحدة: السلام عليكم، أأدخل؟ فإن لم يؤذن له عند الثالثة فليرجع، فقد قال الرسول ﷺ: **"إِذَا اسْتَأْذَنَ أَحَدُكُمْ ثَلَاثًا، فَلَمْ يُؤْذَنْ لَهُ، فَلْيَرْجِعْ"**[1]، وبَيَّنَ أهل العلم: أنه إن استأذن ثلاثًا، وعلم أن أهل البيت سمعوا هذا الإذن و لم يجيبوه؛ فليرجع، بل منهم من قال: حتى ولو ظن أنهم لم يسمعوه فعليه العمل بظاهر النصوص، وهو الرجوع.

وعلى المستأذِن أن لا يقف تلقاء الباب بوجهه، ولكن يقف جاعلًا الباب عن يمينه أو عن يساره حتى لا يرى من أهل البيت ما لا يحبون أن يراه إذا فتح الباب.

وإذا قيل للمستأذِن: من أنت؟ فلا يقل: أنا، بل يفصح عن اسمه، فعن جابر رضي الله عنه قال: **"أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي دَيْنٍ كَانَ عَلَى أَبِي، فَدَقَقْتُ الْبَابَ، فَقَالَ: مَنْ ذَا؟ فَقُلْتُ: أَنَا، فَقَالَ: "أَنَا، أَنَا، كَأَنَّهُ كَرِهَهَا"**[2].

والرجل يلزمه أن يستأذن على أمه، وأخته، وبنيه، وبناته البالغين؛ لأنه إن دخل على هؤلاء بغير استئذان؛ فقد تقع عينه على عوراتهم، وقد ذكر ذلك عن بعض الصحابة

---

[1] رواه البخاري رحمه الله في صحيحه (٦٢٤٥)، ورواه مسلم رحمه الله في صحيحه (٢١٥٣).

[2] رواه البخاري رحمه الله في صحيحه (٦٢٥٠)، ورواه مسلم رحمه الله في صحيحه (٢١٥٥).

ﷺ؛ فلما سُئل حذيفة ﷺ: "**أَسْتَأْذِنُ عَلَى أُمِّي؟ فَقَالَ: إِنْ لَمْ تَسْتَأْذِنْ عَلَيْهَا رَأَيْتَ مَا تَكْرَهُ**"[1]، أما الزوجة، فيجوز الدخول عليها بدون استئذان، ولكن الأفضل الاستئذان حتى
لا ترى منها ما تكرهه.

وإذا قال أهل المنزل للمستأذن: ارجع؛ وجب عليه الرجوع؛ لقوله تعالى: ﴿ **وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُوا۟ فَٱرْجِعُوا۟ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ** ﴾[النور: ٢٨].

وكان بعض أهل العلم يتمنى إذا استأذن على بعض أصدقائه أن يقولوا له: ارجع؛ ليرجع، فيحصل له فضل الرجوع المذكور في قوله: ﴿ **هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ** ﴾، حتى إن الله سبحانه وتعالى جعل ذلك الاستئذان بين الأطفال وآبائهم، يقول تعالى: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا۟ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍ ۚ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ۚ ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ ۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ** ﴾[النور: ٥٨]؛ ذلك لأن هذه الأوقات تظهر فيها العورات.

فانظروا عباد الله إلى هذه الآيات وهذه الأحاديث التي تبين وتفسر تفصيل موضوع الاستئذان، فكل ذلك حتى لا تقع عينك على كبير أو صغير، على عورات رجل أو امرأة، شاب أو فتاة.

وانظروا ماذا نفعل نحن كمسلمين؟! فقد أهملنا الأدب وفرطنا في وسائله.

---

[1] أخرجه البخاري رحمه الله في الأدب المفرد (١٠٦٠)، وقال الألباني رحمه الله في صحيح الأدب المفرد (٨١٠): إسناده حسن.

أدخلنا على أبنائنا وبناتنا فى غرفهم رجالًا ونساءً بعوراتهم؛ ليشاهدوا أو يتلذذوا عن طريق التلفزيون، والدش، وما إلى ذلك، وكأن ربنا لم يقل شيئًا، وكأن رسولنا ﷺ لم يُرسل، ثم بعد ذلك نطلب النصر بالدعاء.

كيف نطلب نصرًا من إله عصيناه؟!!! إن لم نرجع إلى الله فسيكون لنا من الله ما نستحق.

يقول كارل ماركس الشيوعي: إن أردتم أن تخرجوا الناس عن دينهم؛ فاشغلوهم بالمسرح.

صدق وهو كذوب، وهذا ما يفعله معنا أعداء الله.

أما ما نستنبطه بالنسبة لرؤية رسولنا ﷺ أقوام يخمشون وجوههم:

نعم عباد الله فإن كثيرًا من الناس لا يضعون على ألسنتهم قيودًا مع أن الله ﷻ قال ﴿ **مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ** ﴾[ق: ١٨]، أي حافظ ومهيأ.

فلا ترى مجلسًا وإلا كانت فيه ما يسمى بفاكهة المجالس، وهي: الغيبة، وهي ليست بفاكهة، بل هي كما قال تعالى: ﴿ **وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ** ﴾[الحجرات: ١٢].

وما هي عاقبة الغيبة؟ عذاب ما بعده عذاب.

يقول ﷺ: **"مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ؛ أَضْمَنْ لَهُ الْجَنَّةَ"**[1]، هذا اللسان عباد الله هو الذى يورد الموارد، ويقول رسول الله ﷺ: **"أَتَدْرُونَ مَا الْغِيبَةُ؟ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ، قِيلَ: أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟ قَالَ: "إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدِ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهَتَّهُ"**[2].

---

[1] رواه البخاري رحمه الله في صحيحه (٦٤٧٤).

[2] رواه مسلم رحمه الله في صحيحه (٢٥٨٩).

نعم أيها الإخوة المسلمون عباد الله، فإن جلست وقلت: إن فلانًا نصابًا، أو غبيًا، أو تكلمت فيه كلمة يغضب منها ويكرهها إذا سمعها حتى لو كانت فيه؛ فإن هذه هي الغيبة التي نهى الله عنها.

وها هي السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها بسبب الغيرة قالت لزوجها ﷺ عن صفية رضي الله عنها، وهي ضرتها، وبين النساء غيرة: **"حَسْبُكَ مِنْ صَفِيَّةَ كَذَا وَكَذَا"**، قال بعض الرواة: تعني أنها قصيرة، فقال لها النبي ﷺ: **"لَقَدْ قُلْتِ كَلِمَةً لَوْ مُزِجَتْ بِمَاءِ الْبَحْرِ لَمَزَجَتْهُ"**[1]؛ أي: خالطته لشدة نتنها، ولقد كانت صفية رضي الله عنها قصيرة.

فلنحفظ ألسنتنا ونبعد عن مجالس الغيبة، وإن كنت في مجلس وذكرت فيه الغيبة؛ فرُدَّ عن عرض أخيك، وبَيِّن لهم حكم الشرع في الغيبة، يقول ﷺ: **" مَنْ رَدَّ عَنْ عِرْضِ أَخِيهِ، رَدَّ اللَّهُ عَنْ وَجْهِهِ النَّارَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"**[2]، فإن أبوا إلا الغيبة؛ فاترك المجلس.

فانظروا إلى واقعنا! وقد وقعنا في أعراض بعضنا بعضا، بل ربما يمزح أحدنا ويغتاب شعبًا بأكمله، وقد نقع في أعراض بعضنا إما بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، فنسال الله العافية.

أما بالنسبة لهؤلاء الخطباء الذين تقرض شفاههم؛ فقد قال تعالى: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢** ﴾ [الصف: ٢]، وفسر العلماء هذا المعنى وقسموا الناس من خلاله ثلاثة أقسام:

الأول وهو أفضلهم؛ من ينصح الناس، ويأمرهم بالمعروف، وينهاهم عن المنكر، ويعمل هو بما ينصح به غيره.

---

[1] أخرجه أبو داود رحمه الله في سننه (٤٨٧٥)، وصححه الألباني رحمه الله في صحيح أبي داود رحمه الله (٤٨٧٥).

[2] أخرجه الترمذي رحمه الله في سننه (١٩٣١)، وصححه الألباني رحمه الله في صحيح الترمذي رحمه الله (١٩٣١).

الثاني: وهو من ينصح الناس، ويأمرهم بالمعروف، ويناهم عن المنكر، ولا يعمل بما ينصح الناس به، لكنه يعلم تقصيره، وينوي وهو ينصح أن يطبق ما ينصح به، فهذا لا شيء عليه؛ لأنه يجاهد نفسه.

الأخير: وهو من ينصح الناس، ويأمرهم بالمعروف، وينهاهم عن المنكر، وهو لا ينوي أن يعمل بما ينصح، بل هو يرائي الناس، ويتصدر حتى يقال عنه كذا وكذا، فهذا هو المقصود بالآية: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٣ ﴾ [الصف: ٢،٣]، وهذا هو الممقوت.

هكذا عباد الله من سيرة المصطفى ﷺ، نتعلم كيف نصلح أنفسنا.

كل هذا عباد الله من بركات، وثمرات، ونفحات، وومضات هذه الرحلة المباركة